الفصل الثالث

آثار العنوسة على المجتمع

١ـ كثرة العوانس مظهر من مظاهر عدم التعاون في المجتمع

٢ـ ظهور أمراض وعادات وافدة على المجتمع المسلم

٣ ـ المكابرة في الثوابت والمسلمات

٤ ـ ظهور الفواحش وكثرتها

obeikandl.com

الفصل الثالث

آثار العنوسة على المجتمع

١ـ كثرة العوانس مظهر من مظاهر عدم التعاون في المجتمع :

الإنسان بطبعه اجتماعي، فهو محتاج لغيره وغيره محتاج إليه، فهو يخدم غيره منتظرا أن يخدمه غيره: عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه قال: كان عمر بن الخطاب إذا سافر لا يقوم في الظل، وكان يرحل رحالنا، ويرحل رحله وحده، وقال ذات يوم:

لا يأخذ عليك الليل بالهم والبس له القميص واعتم

وكن شريك نافع وأسلم ثم اخدم الأقوام حتى تُخدم[١]

والمجتمع المسلم جسد واحد يتأثر أفراده بتأثر بعضهم بعضا، عَنْ النُّعْمَانِ بْنَ بَشِيرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى.[٢]

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: (ترى المؤمنين في تراحمهم) قال ابن أبي جمرة المراد من يكون إيمانه كاملا. قوله: (وتوادهم) بتشديد الدال، والأصل التوادد فأدغم، والتوادد تفاعل من المودة، والود والوداد بمعنى وهو تقرب شخص من آخر بما يحب. قوله: (وتعاطفهم) قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب المحبة

---

[١] عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٦٤

[٢] صحيح البخاري: كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٥٥٥٢/ صحيح مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، حديث رقم : ٤٦٨٥

كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه.

قوله: (تداعى) أي دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في الألم، ومنه قولهم تداعت الحيطان أي تساقطت أو كادت. قوله: (بالسهر والحمى) أما السهر فلأن الألم يمنع النوم، وأما الحمى فلأن فقد النوم يثيرها. وقد عرف أهل الحذق الحمى بأنها حرارة غريزية تشتعل في القلب فتشب منه في جميع البدن فتشتعل اشتعالا يضر بالأفعال الطبيعية. قال القاضي عياض: فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا. وقال ابن أبي جمرة : شبه النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء، لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أخل المرء بشيء من التكاليف شان ذلك الإخلال الأصل، وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب.[1]

وبما أن العنوسة من أعضل أدواء هذا العصر فهي تبرز معدن المجتمع على حقيقته وتظهر خفاياه وخباياه وتظهرها واضحة لا خفاء فيها ولا ريب فكثرة العوانس تعكس تفكير المجتمع وأن كل أفراده يفكرون في أنفسهم لا يتجاوزونها إلى غيرها ولا يهمهم غيرهم وإذا أمعنا النظر في عوانس هذا المجتمع فمن هن ؟ هن أختي وأختك وابنة خالي وابنة خالك وابنة خالتي وابنة خالتك وابنة عمي وابنة عمك وابنة عمتي وابنة عمتك

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٥٢٩ ــ ٥٣٠

وجاريتي وجارتك وكل ذي قرابة وجوار ومعرفة من البنات لك وكل ذي قرابة وجوار ومعرفة من البنات لي.

ومن هم العانسون من الرجال ؟ هم : أنا وأنت وأخي وأخوك وابن عمي وابن عمك وابن عمتي وابن عمتك ، وابن خالي وابن خالك وابن خالتي وابن خالتك ، وكل ذي قرابة وجوار ومعرفة لك وكل ذي قرابة وجوار ومعرفة لي.

فلو تركنا التفكير المستمر في مصالحنا ساعة وألقينا نظرة على هؤلاء النساء وشعرنا أن لهن نقصا وتنغيصا في حياتهن وأنهن بشر لهن أحاسيس مثل أحاسيسنا ونسأل أنفسنا لماذا لا نسهم في حل مشاكل العانسين من الرجال والعانسات من النساء؟؟

٢ـ ظهور أمراض وعادات وافدة على المجتمع المسلم :

زيادة نسبة الفتيات غير المتزوجات وعنوسة الأولاد العزاب الذين هم في سن الزواج يؤدي هذان الأمران إلى عادات سيئة وعواقب وخيمة كظهور العادات الوافدة على المجتمع المسلم والتي منها :

ـ الإكثار من استخدام الهاتف في المعاكسات وإنفاق الساعات الطويلة في تجربة أرقام الهواتف العشوائية لاصطياد المناسب من الضحايا وثم تتطور المحادثات إلى مغازلات وإقامة العلاقات والتي يكون قصد الفتاة منها بريئا ولكنها قد تتطور إلى لقاءات وخروج ومقابلات وقد تتطور إلى أن ينال منها هذا الذئب ثم يرمي بها ذاهبا إلى ضحية غيرها.

ـ الخروج إلى الأسواق من غير حاجة للتفرس في وجوه الغادين والرائحين ودخول أماكن الباعة والتحدث معهم ومضاحكتهم بقصد تزجية الوقت وإنفاقه وتسويل الشيطان لهن بأنهن يمكن أن يظفرن بزوج، والملابس الجديدة تساعد على ذلك.[1]

ـ الخروج في الرحلات الجامعية والتي قد تكون مختلطة بغية التقرب من الشباب والتعرف عليهم لعل الواحدة منهن تظفر بزوج عبر هذا اللقاء.

ـ استعمال البريد الإلكتروني في المراسلات الغرامية، ترينا مدى انحدار أخلاقيات كثير من بنات المسلمين وفقدانهن الحياء، ولعل الدافع طول معانتهن من العنوسة فالرسائل التي ترسلها الفتيات الراغبات في الزواج تذكر الواحدة منهن في الرسالة عمرها وبلدها ومستوى تعليمها وصفاتها الحسية والمعنوية ومستوى جمالها وهواياتها المفضلة وما تحب من الأشياء وما تكره منها وميولها ورغباتها وبعضهن تودع اسمها دون حياء ورقم هاتفها وبريدها الإلكتروني وقد ترفق أحيانا صورتها كما أنها تذكر صفات زوجها المرتقب وفارس أحلامها المنتظر إلى غير ذلك من الأشياء والأمور التي يندى لها الجبين وتنذر بشر مستطير يرينا ما آل إليه أمر المسلمين ومما هووا فيه من دركات الانحطاط وما تردوا فيه من مهاوي عدم الحياء وقلة الأخلاق كما أن المرء يستشعر عظم الأمر وفداحة خطب العنوسة عند الفتيات.

٣ ـ المكابرة في الثوابت والمسلّمات:

هذه العنوسة المتفشية، والخضم الهائل من العزاب والعازبات يؤدي إلى ظهور عادات وتقاليد كثيرة بعضها يعترف مقارفوه بخطئه ويحاولون ستره والتنصل منه

---

[1] قال ابن الأثير: وفي حديث ابن مسعود: أنّ امرأته سألته أنْ يَكْسُوَهَا جلْبَابا فقال: إني أخْشَى أنْ تَدَعِي جِلْبَابَ اللّه الذي جَلْبَبك، قالت: وما هو؟ قال بَيْتُكِ. [النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {أجَنَ}]

كممارسة الزنا والاستمناء والمعاكسات ونحوها وبعضها يكابر فيه الواقعون فيه بل يحاولون تقنينه وتبريره كالزواج العرفي الذي انتشر بين طلاب الجامعات حتى أن نسبته في الجامعات المصرية فاقت ١٧% من عدد الطلاب[١] رغم أن هذا الزواج غير مستوف شروط الزواج من ولي وإشهار، ومن أمثلة ذلك ما جاء على موقع إسلام أون لاين:

ـ نريد حلا أو زواجا عرفيا[٢]!

أحمد فتحي -إسلام أون لاين.نت/ ٢٢-٦-٢٠٠١

"دعوا الشباب يتزوج عرفيا؛ فهو الحل الوحيد، أليس في هذا الزواج إيجاب وقبول؟ إذن الزواج العرفي هو الحل حتى ولو كان ناقصا شرعا، أليس نصف الحلال خيرا من الحرام كله؟".

بهذه الكلمات يبدأ محمود مداخلته في ساحات حوار "إسلام أون لاين.نت" والتي وصل عدد الردود عليها ما يقرب من ٥٠ رسالة في خلال أسبوع واحد فقط في الفترة من ٢٠٠١/٦/١١ حتى ٢٠٠١/٦/١٨، وما يلفت النظر هو الكم الهائل من الردود في وقت قصير، وهو ما يعكس أهمية الموضوع والتنوع في الردود ما بين المؤيد والمعارض.

يقول" شاب مسلم" أحد رواد الساحة "إذن فلتتركوا الشباب يتزوج عرفيا عله يستطيع أن يتم هذا الزواج ليكون صحيحا بعد ذلك، ولتكن هذه الخطوة دافعا له ليفعل شيئا في حياته بدلا من إحساسه بالعجز الذي قد يدفعه إلى الاتجاه إلى الحرام والعياذ بالله. فإما أن تجدوا حلا وإما أن تتركونا نتزوج عرفيا يرحمكم الله".

---

(١) أحمد فتحي -إسلام أون لاين.نت/ ٢٢-٦-٢٠٠١ / نريد حلا.. أو زواجا عرفيا!

(٢) أكدت دراسة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر وجود أكثر من ١٥٠٠٠ دعوى لإثبات بنوة المواليد من زواج عرفي أو زنا

فتاة أخرى خرجت عن صمتها لتعلن قبولها لهذا الزواج ضاربة بقيود الأسرة والمجتمع عُرض الحائط، وهي التي تقترح في مداخلتها على الشاب أن يتزوجها عرفيا؛ فتقول شهيرة تحت عنوان "أرحب كفتاة تخشى العنوسة بهذا الزواج": "دعوا الشباب يتزوج عرفيا، الشباب في هذه الأيام لا يكاد يقدم على الزواج من أجل ما يلاقيه من غلاء وبطالة وتعسف مع ما يلاقيه من غزو فكري وبث جنسي على الإنترنت والدش وخلافه، وهو ما يجعله زاهدا في الزواج، وقد حسمت موقفي، سأعرض عليه فكرة الزواج العرفي، وإن رضي بالفكرة ورحب بها فسوف أجبر أهلي على الاعتراف به بعد أن يتم الزواج".

ويرى أحمد أن الزواج العرفي حل لمشكلة الزواج المتعثر فيقول: "وهذه الأيام تكاليف الزواج غير العرفي مرتفعة جدا جدا، حيث غلاء المهور وتعسف أولياء الأمور، أما الزواج العرفي فتكاليفه المادية قليلة جدا، كما أنه السلاح الذي ينهزم به أولياء الأمور، بل يجعلهم يسعون في إتمام الزواج الرسمي دون تعقيدات.

ويرد أحدهم بسؤال استنكاري: "لو جاءك شاب يطلب الزواج من أختك أو ابنتك زواجا عرفيا فهل توافق؟"، فيجيبه "العربي": "ولِمَ لا؟ أتدري لماذا أقول هذا؟ لأنه –وفي منتهى البساطة– سيكون هذا الزواج حلالاً للأسباب الآتية:

هذا الزواج سيكون عرضًا "طلب وقبول".

هذا الزواج سيتوافر به ركن الإشهار؛ لأن هذا الأخ لن يرضى بأن يكون زواج شقيقته هذا سرًا.

هذا الزواج سيتوافر له ركن الشهود.

ويراه آخر حلا. "والسؤال: لماذا لا يكون شرعيا بالإيجاب والقبول بين الطرفين، بولي وشاهدين أيًا كانت حالة العريس ما دام مقبولا، قال تعالى ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [1] صدق الله العظيم.

أما الآراء الرافضة فيعكسها شاب رافض للزواج العرفي ومحملا الأهل مسئوليتهم المباشرة عن انتشار هذه الظاهرة، ومستعرضا تجربته الشخصية في الزواج، وهو في سن الثانية والعشرين فيقول في مداخلته التي بعنوان "تمسكوا بتقوى الله": " تفكير الشباب والأهل في الزواج الآن أصبح تفكيرا خاطئا لا يعتمد إلا على المظهر والمال والشقة والأثاث، ونسي الناس أن الهدف من الزواج هو عفة الشباب وتطهير المجتمع من الآثام، ولقد نسيت كل فتاة تعرض نفسها لهذا الزواج أنها باعت دينها وشرفها من أجل شهوة تنقضي في دقائق وبعدها فهو لا يعرفها".

ويقول آخر مازحا تحت عنوان "زواج "Take Awa وعواطف Ice Cream": "أي فتاة تلك التي تقبل أن تكون مجرد Sandwich في يد الرجل، هو يريدها الآن فيلتهمها الآن؟ لا عذر لمن قال المعيشة مرتفعة فالقيم الجميلة، والحياة المستقرة تستحق منا مزيدا من العناء، وبعض الصبر. فمن يتصور نزوعه للارتباط الأسري مثل Ice Cream ما لم يلحقه الآن فسيذوب هذا الشخص سيفاجأ بأن كل حياته لا تعدو أن تكون Ice Cream يذوب مع الوقت".

قصص من الزواج العرفي جنت على أصحابها[2]:

---

[1] سورة النور آية ٣٢

[2] هذه القصص مأخوذة من موقع العانس على الإنترنت.

يقول خالد إنه قد سول له الشيطان في إحدى سفراته (تحت تحريض بعض أعوانه) بأن يتزوج عرفيا من إحدى الفتيات وحاول هذا الشيطان أن يزين له الأمر ويحلله له ويعترف بأنه قد وقع في هذا الخطأ الشنيع وقد تخلص منه قبل عودته إلى بلده ولكنه ندم أي ما ندم على هذه الغلطة التي لن تزول من ذاكرته خصوصا بعد أن علم أنه قد ارتكب محرما يخالف الشريعة الإسلامية. [١]

ـــ تقول ن. ي. : فتاة في السابعة عشرة سبق أن تزوجت عرفيا مرتين، في المرة الأولى كان مقابل مبلغا ماليا كبيرا ضمن لي مستقبلي الدراسي وطلقني زوجي بعد شهر واحد فقط وقد تزوجت بعدها مرة أخرى واشتريت سيارة وطلقني الآخر أيضا وأظن أني لن أكررها ثالثة فليتكم تعلمون ما مقدار الخسارة الكبيرة التي حدثت لي في هاتين الزيجتين. [٢]

ـــ س التي تبلغ من العمر ١٩ عاما، قامت بالزواج العرفي من أحد أقربائها، الذي ربطتها به علاقة عاطفية منذ سنوات الطفولة.

تقول س : لقد لجأت إلى الزواج العرفي، كحل مؤقت، أمام رفض أهلي القاطع وغير المبرر للارتباط بمن أحبه قلبي، وقد قررنا الإقدام على هذه الخطوة، بأسلوب الأمر الواقع، حتى نرغم الأهل على الموافقة بالارتباط الرسمي، وقد نجحت خطتنا إلى أقصى درجة وبصورة لم نتخيلها!

لقد وافقت أسرة س. على الزواج درءا للفضيحة، بعد أن ظهرت على الفتاة أعراض الحمل فتم الزواج بسرعة فائقة، بعد أن قامت الأسرة وفي زمن قياسي بتوفير

---

[١] مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

[٢] مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

مسكن مناسب، وأثاث فاخر للعروسين !! غير أن س. نفسها تفجر قنبلة مدوية عندما تقول: لم نكد نفيق من هذا الحلم الجميل، حتى تفجرت المشكلات، بعد أن اكتشفت زوجي على حقيقته وبعد أن أصبحنا في منزل واحد، لقد كان يثور لأتفه الأسباب. ويسيء معاشرتي بصورة دفعتني بعد شهور قليلة لطلب الطلاق.[1]

ـ أبو عمر أيضا شاب يقول: كنت في أحد البلدان دلني أحد أصدقائي على رجل يقوم بعقد الزيجات العرفية ذهبت إليه فوجدت عنده ما أريد، لم يكن لدي رغبة جادة في الدخول بمشروع غير إنساني وحقير كنت أتمنع وأختلق الحجج لكنهم لم يتركوا لي فرصة قاموا بكتابة عقد من نسختين نسخة تخص الزوج ونسخة تخص الزوجة ورفضت أن تأخذ الفتاة نسختها وقالت يجب أن تكون النسختان معي ولم يمانعوا في ذلك لكي أطمئن طبعا بأنه لن يكون هناك أي مسؤولية علي ومن شروط الزواج العرفي أن يسجل العقد في المحكمة.

ورفضت هذا الشرط ولم يمانعوا أيضا وكأن الشيطان يدفعهم حثيثا إلى الزج بي في هذه الكارثة ومن دون إرادتي وجدت نفسي متزوجا زواجا عرفيا وأصدقكم أني لم أكن سعيدا بل كنت طوال فترة زواجي بين قلق، يمزقني هاجس الخوف.[2]

ـ هدى متزوجة تقول: منذ أن أنجبت طفلي الأول تغير زوجي أصبح كثير الأسفار يغيب عني كثيرا مع أنني أحبه جدا وأهتم به وببيتي وفي ليلة من ليالي عودته من سفر طويل أردت أن أعرف السر قمت بتفتيش حقيبة سفره شاهدت صورا له مع فتاة صغيرة وشاهدت صورا لعقود فهمت منها أنه متزوج علي جن جنوني ذهبت إلى أهلي

---

[1] كل الأسرة عدد ٢١١ ١٩٩٧/١٠/٢٩م

[2] مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

وأنا أقلب ذهولي بين يدي أقسم لي أنه زواج عرفي أقسم أنه زواج (أي كلام) !! لكن لم يهنأ لي العيش إلا بعد أن حصلت على ورقة طلاقي من رجل لا يعرف معنى الإخـــلاص! (١)

ـــ ومن خلال محاضر الشرطة يقول مصطفى مكي المحامي: إن رفع العديد مـــن قضايا فسخ عقد الزواج العرفي قد أبرزت انتشار هذا النوع من الارتباط ففي الوســـط الإعلامي نجد مذيعة تتقدم بطلب لفسخ عقد زواجها العرفي وتطليقها من زوجها المـــذيع الذي تزوجته بعد وفاة زوجها بعد أن ترك لها أولادا، وبعد سنتين من وفاته حصلت على إعارة للعمل مذيعة لمدة خمس سنوات في دولة (خليجية مجاورة)، فاضطرت إلى الـــزواج العرفي من زميل لها ليسافر معها كمحرم، وتركا عملهما بالإذاعة وسافرا بعـــد العـــودة طلبت منه الطلاق فرفض، ورفض تسليمها أصل عقد الزواج فطلبت في دعواها فســـخ العقد.

لم يقتصر هذا النوع من الزواج على فئة معينة فيقول مكي: كانت هناك دعـــوى أخرى تقول إن أحد العاملين بالحكومة تزوج من سيدة ثرية بعد وفاة زوجها بموجب عقد عرفي وفرض فيه مهرا قيمته خمسة آلاف، وأنه بعد أن دخل بزوجته وعاشرها، تنكـــرت لهذه الزيجة، ورفضت الاعتراف بها، كما منعته من دخول مسكن الزوجية، فأقام دعـــوى لإثبات الزواج فرفضته المحكمة، وأعطت الحماية القانونية للعقد إذا أنكره أحد الطرفين. (٢)

---

(١) مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

(٢) مجلة هلا عدد ٤٧٠ ١٩٩٨/١١/٥م

ـ تحكي إحدى السيدات قصتها مع الزواج العرفي فتقول: جمعتني بزميل لي مشاعر ود قوية رغم علمي بأنه متزوج ولديه أطفال وكنا نعرف أن زواجنا مستحيل فنظرة المجتمع للزوجة الثانية متدنية ففضلنا الزواج العرفي، والذي لم يدم لأكثر من عام ونصف، شعرت خلال هذه الفترة إنني زوجة درجة ثانية ولست زوجة ثانية، وساءت حالتي النفسية، فالزوجة الأولى هي الحقيقة الوحيدة في حياة زوجي، أما أنا العشيقة التي حرمت من إنجاب الأطفال فلم أجد بدا من طلب الطلاق. (١)

ـ سالم شاب تعرض لنكبة كبيرة يقول: كانت فترة سفري لمدة شهرين تزوجت خلالها زواجا عرفيا من فتاة وقبل أيام من انتهاء إجازتي فاجأتني بأنها (حامل) وبأنه يجب علي أن لا أتركها واجهت الأمر بكره شديد نحوها قامت برفع شكوى ضدي ومازلت أعاني الأمرين حيث أن الطفل سينسب إلي لا محالة! فعلمت بعدها أن الزواج العرفي كارثة حقيقية أحذر كل الشباب منها ومن الاستسلام للشيطان وأعوانه بالوقوع في هذا الخطأ. (٢)

ـ تروي ع. قصة إحدى صديقاتها بحيرة شديدة، فلقد تزوجت من أحد زملائها بالجامعة، واستمرت علاقتهما كزوجين طوال فترة الدراسة، حيث كانا يلتقيان في إحدى الشقق المفروشة إلى أن أوشكت المرحلة الدراسية على الانتهاء وكشف أهل صديقتي ع لابنتهم عن مفاجأة : عريس يريد الارتباط بها على عجل قبل سفره للخارج!!

وتقول ع. : لقد وقعت صديقتي في مأزق شديد، فهي لا تستطيع أن تخبر أسرتها بقصة زواجها من زميل الجامعة، لأن في ذلك موتها! كما أنها لا تستطيع أن تدفع زوجها

---

(١) مجلة هلا عدد ٤٧٠ ١٩٩٨/١١/٥م

(٢) مجلة فواصل العدد ٥٥ أغسطس ١٩٩٨م

للتقدم إلى أسرتها حيث أنه لا يملك المال في الوقت الحالي، وفي نفس الوقت لا تملك حجة واحدة لرفضه وأمام رغبة أسرتها تكون بذلك قد جمعت بين زوجين في وقت واحد![1]

ـــ وتروي ف. قصتها قائلة: لم يستمر زواجنا أكثر من ٧ أشهر كنا نلتقي فيها بأحد الفنادق أو في منازل بعض الأصدقاء، وقد مرت علينا لحظات عصبية أدت إلى حدوث فجوة رهيبة في مشاعره تجاهي، فاختفى فجأة، بعد أن تركني معلقة هكذا منذ ما يقرب من ٣ سنوات، ولا أعرف عنه شيئا إنه حتى لم يفكر بالاتصال بي.[2]

وقبل ختم الحديث عن هذا السبب لابد من ذكر حكم الزواج العرفي، فقد جاء في كتاب بيان للناس الذي يصدره الأزهر تعريف للزواج العرفي والفرق بينه وبين الزواج السري، وهذا نص فتواه :

الزواج العُرْفي: اصطلاح حديث يُطلَق على عَقْد الزواج غير المُوَثَّق بوثيقة رسمية، سواء أكان مكتوبًا أم غير مكتوب.

وهو نَوْعان: نوع يكون مستوفيًا لأركانه وشروطه، ونوع لا يكون مستوفيًا لذلك.

١ـــ فالنوع الأول إذا تمَّ على هذه الصورة يكون عقدًا صحيحًا شرعًا، وتترتب عليه كل أثاره من حِلِّ التمتُّع وثبوت الحقوق لكل من الزوجين، وللذرية الناتجة منه، وكذلك التوارُث عند الوفاة، وغير ذلك من الآثار، دون الحاجة إلى توثيقه توثيقًا رسميًّا، وكان ذلك هو السائد قبل أن تُوجَد الأنظِمَة الحديثة لتقييد العقود وسماع الدَّعَاوى والفصل في المنازعات.

---

[1] كل الأسرة عدد ٢١١ ١٩٩٧/١٠/٢٩م

[2] كل الأسرة عدد ٢١١ ١٩٩٧/١٠/٢٩م

ويُمكن إثبات هذا العقد أمام المحاكم بطرُق الإثبات المعروفة، وكان للتوثيق الرسمي أهميته في حفظ الحقوق الزوجية، ومنع سماع دعاوَى الزواج الذي يَتِمُّ لأغراض سيئة.

٢ ــ والنوع الثاني يتم بعِدَّة صور، منها أن تجري صيغة العقد بين الرجل والمرأة دون شهود على ذلك، وهو الزواج السرِّي، ومنها أن يتم العقد أمام الشهود ولكن لفترة معينة.

وهاتان الصورتان باطلتان باتفاق مذاهب أهل السنة، لفُقْدان الإشهاد في الصورة الأولى، ولتحديد العقد في الصورة الثانية؛ لأن المفروض في عقد الزواج أن يكون خاليًا من التحديد بمدة ليَتِمَّ السكَن والاستقرار في الأسرة.

والذي يدعو إلى الزواج العرفي بنوعَيْه أمور، منها:

١ــ أن تكون الزوجة مُسْتَحقَّة لمعاش من زوجها الأول، وتُريد أن تحتفظ به؛ لأنه يسقط بالزواج بعده إن وُثِّق، أو تكون مستحقة لمعونة أو مُتَمَتِّعة بامتيازات ما دامت غير متزوجة، كأن تكون حاضنة لأولادها تتمتَّع بالمسكَن وأجر الحضانة ووجود أولادها معها ولو تزَوَّجت زواجًا موثقًا من غير محرم لهؤلاء الأولاد سقط ما كانت تتمتع به.

٢ــ أن يكون الزوج متزوجًا بزوجة أخرى، ويخشى من توثيق زواجِه الثاني ما يترتب عليه من مشاكل بينه وبين أسرته، وما يتعرَّض له من عقوبات تَفْرِضها بعض النظم.

٣ ــ أن يكون الزوج مغتربًا ويخشى الانحراف بدون زواج، لكن لو قيد رسميًّا تترتب عليه مشاكل فيلجأ إلى الزواج العرفي.

وإذا كان النوع الثاني من الزواج العرفي باطلًا ومحرمًا باتفاق مذاهب أهل السنة، لعدم استكمال مقوماته؛ فإن النوع الأول ــ على الرغم من صحته ــ ممنوع للآثار التي

لا يُقرُّها الشرع، ومنها استيلاء صاحبه المعاش أو المُتَمَتِّعة بامتيازات أو مَعُونات أو حقوق على غير حقها الذي لا تستحقه بالزواج، ومعلوم أن أخذ ما ليس بحق حرام، فهو أكل للأموال بالباطل، وظُلْم لَمن يدفع هذا الحق، أو لمن ضاع عليه حق بسبب مُزاحمة الزوجة له، وكل ذلك حرام.

ومنها تعريض حقها أو حقه في الميراث للضياع، حيث لا تُسْمَع الدعوى بدون وثيقة، وكذلك حقها في النفقة على الزوج إذا هجرها، وكذلك في الطلاق إذا ضارَها، وفي الزواج من غيره إذا لم يطلقها، وفي غير ذلك من الحقوق التي تختلف النظُم في وسائل إثباتها وسماع الدعوى من أجلها.

ومن أجل هذه الآثار يكون الزواج العرفي الذي لم يُوَثَّق ممنوعًا ــ على الرغم من صحة المعاشرة الزوجية إن كان مستوفيًا لأركانه وشروطه، فقد يكون الشيء صحيحًا ومع ذلك يكون حرامًا، كالصلاة في ثوب مغصوب، والحج من مال حرام. ولا مانع أن يتخذ أولياء الأمور إجراءات تُحدُّ منه، وذلك لدَرْء المَفْسَدة في مثل الحالات المذكورة. والله أعلم.

٤ ـ ظهور الفواحش وكثرتها :

عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الشباب بالزواج وحضهم عليه وحثهم عليه علل ذلك بأنه سيكون سببا لغض البصر وإحصان الفرج : فعَنْ عَبْد اللَّه قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ [1] فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ.[2]

كما أن الإسلام فرق بين عقوبة الزناة وجعلها تتفاوت ما بين المحصنين وغير المحصنين فعقوبة الزاني المحصن هي الرجم والزاني غير المحصن الجلد مائة جلدة وتغريب عام، قال الله تعالى﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]

وعن عَبْد اللَّه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّه إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ.[4]

---

[1] قال ابن حجر رحمه الله تعالى : وستدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأنه أرشد عند العجز عن التزويج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة ، فلو كان الاستمناء مباحا لكان الإرشاد إليه أسهل.(فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٣٥)

[2] البخاري كتاب النكاح باب: من لم يستطع الباءة فليصم فتح الباري ج١١ص١٣ ومسلم كتاب النكاح مسلم بشرح النووي ج٤ص١٢٨.

[3] سورة النور آية : ٢

[4] صحيح البخاري: كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ حديث رقم: ٦٣٧٠/ صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: ما يباح من دم المسلم، حديث رقم: ٣١٧٥

ومن أسماء المرأة عند العرب الغانية ومن معانيها التي استغنت بزوجها عن الرجال.[١]

سقت هذه الأشياء لأدلل على اختلاف الشهوة بين الشخص المتزوج وغير المتزوج من الجنسين على السواء فالمتزوج غالبا يكون بعيدا عن الفواحش لأنه يقضي وطره حلالا مع زوجه أما غير المتزوج فإن العفة عنده تحتاج إلى صبر وطول معالجة.

والعنوسة تكون سببا لظهور أمراض وآفات كثيرة منها:

أ ـ اللواط[٢]:

يلجأ بعض العانسين إلى إفراغ شهواتهم في الجنس المماثل، ويكون ذلك نتيجة لعدم الزواج عند بعض العانسين، وإلى العيش في مجموعات رجالية مغلقة كمعسكرات الجنود وثكناتهم وسكن الطلاب واللواط هو إتيان الرجل رجلا لشهوة.

ب ـ السحاق:[٣]

وهو جماع المرأة للمرأة أو اشتهاء المماثل بين الإناث.

---

(١) الغانيةُ من النساء: التي غَنِيَتْ بالزَّوْج؛ والغانية: التي غَنِيَتْ بحُسْنِها وجمالها عن الحَلْي، وقيل: هي التي تُطْلَب ولا تَطْلُب، وقيل: هي الشابَّة العَفيفة: كان لها زَوْجٌ أَو لم يكُنْ. [لسان العرب، مادة: غني]

(٢) لوط: اسم علم، واشتقاقه من لاط الشيء بقلبي يلوط لوطا وليطا، ولطت الحوض بالطين لوطا: ملطته به، وقولهم: لوط فلان: إذا تعاطى فعل قوم لوط، فمن طريق الاشتقاق؛ فإنه اشتق من لفظ لوط الناهي عن ذلك لا من لفظ المتعاطين له. [معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب ، مادة: لوط]

(٣) قال الفيروز آبادي: امرأةٌ سَحاقةٌ: نَعْتُ سَوْءٍ. [مختار الصحاح، باب القاف. فَصْلُ السِّيْن.]

ج ـ الاستمناء: [١]

وتسمى أيضا بالخضخضة،[٢] وجلد عميرة [٣] والتدليك. والاعتمار: يعني جمع اليدين وضمها لذلك. وهو عند الرجل أو المرأة، تفريغ الشهوة بالاستمناء، ويمكن أن يقال: جماع الإنسان لنفسه حيث يتم ذلك بالتصور.

د ـ الزنا:

قد يلجأ العانسون من الرجال والنساء إلى الزنا وإفراغ شهواتهما وإشباع رغبتهما عن طريق الحرام، ولنجتزئ من حوادث الفجور الكثيرة من الرجال والنساء بهذه الحادثة التي حدثت لعانس في موضعين مختلفين هما أصفهان وبغداد فإما أن تكون القصة واحدة واختلف في مكانها وإما أن تكون متعددة:

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: وجد صبي منبوذ في بعض مساجد أصفهان ومعه صرة فيها مائة دينار مكتوب فيها: هذا جزاء من لا يزوج ابنته.[٤]

وقال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: رمي ببغداد في سوق يحي قمطرة،[٥] فيها صبي، وتحته مضرّبات [٦] حرير، وعند رأسه كيس فيه مائة دينار، ورقعة فيها: هذا الشقي ابن

---

[١] الاسْتِمْناء: هو اسْتِنْزال المَنِيِّ في غير الفَرْج. [النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {خضخض}]

[٢] أصل الخَضْخَضة التحريك.

[٣] جَلْدُ عُمَيْرَةَ: كنايَةٌ عن الاسْتِمْناء باليَد. [القاموس المحيط، باب الراء. فَصْلُ العَيْن]

[٤] بهجة المجالس قسم ٢ص٤٧

[٥] شبيه سفط ينسج من قصب

[٦] مضربات مخيطات

الشقية، ابن السكباج[١] والقلية،[٢] ابن القدح والرطلية، رحم الله من اشترى لـه بهـذا الذهب جارية تربيه، وفي آخر الرقعة: هذا جزاء من عضل ابنته.[٣]

ومما لا شك فيه أن تصرف هاتين البنتين سببه إعضال أبويهما وتعنيسهما لهما لا أنهما أرادتا الزواج ولم تجداه.

---

(١) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل

(٢) القلية : مرق يتخذ من لحوم الجزر وأكبادها.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد الثاني ج٤ص١١٠

obeikandl.com